الحاجة إلى تصورات وتوجهات جديدة
ومتوائمة في التعليم العالي والجامعي

الأستاذ الدكتور
محمد ابراهيم كاظم
مدير جامعة قطر

١ - عندما نفكر في قضايا التعليم العالي في مثل هذه الندوة ، فنحن نمسح ببصائرنا منطقة الخليج العربية في حاضرها وواقعها الذي هو ثمرة تفاعلات عديدة بين عناصر شتى ، بعضها ينتسب إلى الماضي الذي انقضى ، وبعضها ينتسب إلى الماضي المستمر وفي جميع الحالات فالمنطقة في حركة ، تسير بتفاعلاتها وعناصرها شاقة طريقها نحو المستقبل .

وقبل الحديث عن التصورات والمفاهيم والتوجهات في التعليم العالي ، ربما يبدأ الحوار مع النفس حول هذا الموضوع بسؤال مبدئي عن مدى الحاجة إلى تعليم عال . وطبيعي أن يكون في الإجابة عن هذا السؤال بعض عناصر الإطار الذي لابد من تحديد ملامحه ، عند التوجه إلى التعليم العالي والتفكر في قضاياه .

والتعليم العالي يقوم شكلاً أو موضوعاً ، أو شكلاً وموضوعاً ، بناء على مدى ونوعية الحاجة إليه . بدءاً من المعالم أو الصروح التي لابد منها لاستكمال شكل مجتمعات القرن العشرين ، بصرف النظر عن مضمونها ووظيفتها ، أو يقوم مبتسراً متخفياً دون إعلان أو إعلام كإضافة ملحقة بالتعليم العام استجابة لحاجة موضوعية وموضعية ، كأن يكون المجتمع

---

* اللفظ الانجليزي لكلمة موائم هو relevant

وكلمة تواؤم هو relevancy

قد وصل إلى المرحلة الحضارية التي لم يعد التعليم العام بوظائفه وطاقاته قادراً على الوفاء باحتياجاتها ، ودون أن يكون المجتمع قد أعد نفسه بصورة واعية لقيام تعليم عال مستكمل العناصر .

وأخيراً أن يعي المجتمع سرعة حركته واتجاهاتها ، وما يترتب على ذلك من تصور لاحتياجات المجتمع ، واحتياجات سرعة التغير ، من منطلق مقوماته الأصلية وديناميات وأيديولوجياته ، ومن منطلق الوعي باحتياجات العصر ، ونوعية واتجاه حركة المجتمعات الأخرى المعاصرة والمتفاعلة معه .

٢ - وباختصار فمن المتفق عليه أن التعليم العالي والجامعي مقوم أساسي من مقومات الدولة والمجتمع العصري وعندما تتقدم الدولة والمجتمع لهذه المرحلة يصبح التعليم العالي حاجة أساسية ، يترتب على تأخر قيامه عواقب محسة . وبالنسبة للمجتمع العربي في الخليج بانتمائه إلى الأمة العربية - مع تفاوت أقطارها في مراحلها الحضارية - وبانتمائه للإسلام كطريق وكحياة متكاملة ومسئولية عقائدية حضارية ، وبانفعاله بآثار حركات التقدم في مجتمعات العالم المعاصر مع مجمل الظروف الخاصة به ، والامكانات التي أتيحت له ، هذا المجتمع مرتبط بظرف تاريخي نادر هو وجود البترول كسلعة استراتيجية هائلة الأثر بالغة القيمة . فهو مصدر الطاقة والمال والتكنولوجيا وعنصر من عناصر السياسة الإقليمية والدولية والاقتصاد العالمي ومجال لنشاط القوى العاملة وعنصر من عناصر إعادة توزيع البشر ، وتغير البنيات الاجتماعية والأطر القيمية ، وهو مع ذلك ، ومهما بلغت أبعاده ، محدود مؤقت ، كما أن آثاره ليست بالضرورة إيجابية فحسب .

وظرف تاريخي نادر آخر ، هو أن العديد من الأقطار العربية القريبة والبعيدة تمر بمخاض حضاري واقتصادي وتحديات جسام ، جعل من الممكن توافر القوى البشرية العربية بالإضافة إلى العمالة الأجنبية التي يمكن أن تحتشد للمشاركة في برامج التنمية وتحمل أعباء النمو .

وعندما نقول إن التعليم العالي والجامعي هو مقوم أساسي من مقومات الدولة والمجتمع العصري ، فنحن نلمح إلى أن المجتمع العربي في الخليج وصل إلى المرحلة الحضارية التي برزت فيها الحاجة إلى قيام هذا التعليم بتولى مسئوليات ووظائف محددة ، وغير محددة لا تتم بدونه .

٣ - هذه الوظائف المحددة على وجه الخصوص هي :

(أ) تنشيط وتوجيه التفاعل الاجتماعي ، بحيث يؤدي إلى قيام البنية الاجتماعية المناسبة والصالحة للمجتمع العصري مع الحفاظ على هويته المتميزة .

(ب) تحقيق التوازن بين البنية الاجتماعية المتحركة إلى الأمام وقياداتها في مجالات التخصص المختلفة ، وبين باقي القوى البشرية من القاعدة العريضة في المجتمع ، وذلك ببرامجها المخصصة للوقاية من ظواهر اغتراب الخريجين ، وتقليل الفجوة بين الأجيال .

(جـ) إعداد القوى البشرية اللازمة من الخريجين والمتخصصين التي يعتمد عليها في تحقيق الأهداف الدينامية المتطورة للمجتمع ، وحمل آماله قدماً بصورة مطردة .

(د) وإذا كان إعداد القوى البشرية يدخل في نطاق المهام التعليمية للجامعة ، فهذه المهمة ترتبط أشد الارتباط بمهمة العمل على زيادة الحصيلة البشرية من المعرفة وتطبيقاتها بصورة منهجية متدفقة ، أو ما يسمى بالبحث العلمي والتطبيقي ، ونشره واذاعته وتداوله ووضعه موضع التطبيق .

٤ - وإلى جانب الوظائف المحددة للتعليم العالي والجامعات فللجامعات أيضاً وظائف غير محددة . بعضها سوف يبرز في المستقبل أي أنه مجهول في الوقت الحاضر . وهي ليست موضعية الأهداف محدودة المقاصد ، بل هي مجتمع يتسم بكل ما تتسم به المجتمعات البشرية والكائنات الحية وديناميتها . الجامعة مجتمع بشري ، لا يعد للحياة ، بل هو الحياة نفسها ، في بعض مراحلها التي تتتابع لتكون حياة البشر : الفرد والجماعة . بمعنى أنه أحد أنماط الحياة وصيغها . وهي ليست عدداً من طلاب العلم : دارسين ومدرسين وبعض العاملين ، ولكنها أيضاً تفاعل بين هؤلاء وأولئك جميعاً . وبقدر حيوية هذا التفاعل ونشاطه وصحيته واستمرار المقومات اللازمة لذلك ، بقدر ذلك تكون للجامعة القدرة على العطاء الإيجابي - تميزاً عن مجرد إثارة الزوابع . والتفاعل الجامعي يتميز بميزات خاصة ترتبط بهذه النوعية الخاصة من البشر ، في مرحلة خاصة من الحياة ، وباهتماماتهم الخاصة بالعلم والتعلم والتعليم ، وبأولوياتهم وطموحاتهم كأفراد وكمجتمع .

ولكن ، ولهذه الخصائص ذاتها ، يتميز المجتمع الجامعي بقابلية عظيمة للنشاط والحركة والاندماج والانتماء والعطاء ، يفتح لها - إذا استوفيت الشروط - مجالات لا نهاية لها من

التجديد والتغير والتدفق والقدوة والقيادة ، يحدد للجامعة أبعادها وموقعها من التفاعل المحلي والقومي والانساني الشامل .

وهو أيضاً ككل مجتمع وكل تفاعل ، قابل أيضاً - إذا قصرت الشروط - قابل للضعف والتفكك والهوان والتصلب .

٥ - وكمجتمع منتم إلى دوائر مجتمعية أكبر ، بدأ بالمجتمع المحلي والاقليمي والقومي والأمة والمجتمع الإنساني المعاصر والماضي كله ، وبتطلعه إلى آفاق المستقبل وتفاوت وعيه لبعد الزمن والتاريخ ، وامتداداته الطولية والعرضية ، يكون لانتمائه أو انتماءاته المتفاوتة الحدود ، المتشابكة العناصر ، المتراوحة بين الغموض والوضوح والتحديد والهلامية ، يكون لهذا الانتماء غير المحدود أثر يؤدي إلى تلقائية دينامية تتجاوز الموضعية والحدود الثابتة .

هذا التجاوز لا يعني حركة عشواء ، ولكنه يشير إلى حدود الإنسان وقصور قدراته وبصائره ، أي وجود حدود ، أياً كانت ، لهذه القدرات والبصائر ، عندما تنفذ إلى ما وراء الحجب . ولكنه يشير أيضاً إلى أن الإنسان يستطيع أن يرى ما وراء الحجب عندما يتجاوزها فلا تصبح حجباً ، ثم يتطلع إلى الأمام مرة أخرى فلا تمتد بصيرته إلا إلى أمد محدود يكون ما وراءه محجوباً عنه وهكذا .

وبناء عليه يكون الوعي بهذه الحركية في وظائف الجامعة رؤية لابد منها لأي توجه حكيم في العمل الجامعي اليوم ، والإعداد للمستقبل في نفس الوقت . ويكون التخطيط الحكيم مؤسسا على التعامل مع المعلوم اليوم ، والمعلوم غداً ، وهو الذي سوف يظل مجهولاً إلى حين .

٦ - لابد الآن من وقفة نجلو فيها أبصارنا ونتطلع إلى المستقبل . عندما نتحدث عن القرن الحادي والعشرين والإعداد له ، يجب أن نتخلص من آثار المبالغات السينمائية والمسلسلات التلفزيونية ، وما تلح عليه في تضخيم عناصر اختلاف الحاضر عن المستقبل وسرعة التغير المتوقعة .

ومن المهم أن نؤكد على أن المستقبل لا يتكون فجأة ، بل إن ملامحه تتحدد وتتكشف بالتدريج - أياً كانت سرعة هذا التدرج - ومن ناحية أخرى فان المستقبل لا يقع علينا

من اطار خارج عنا ، وكأننا مشاهدون سلبيون ينظرون الأحداث تتتابع في معزل عنهم . فالواقع أن المستقبل يتكون في الحاضر ، الحاضر هذا الذي تكون تدريجياً عبر زمن مضى ، ومن عناصر تكونه : أفكارنا وأعمالنا وتوقعاتنا ورؤانا .

والقرن الحادي والعشرون على بعد يقل عن عشرين عاماً ، والأرجح أن غالبية منا سوف تشهده. كما أن من بين أطفال اليوم وشبابه من ستكون بأيديهم مقاليد الأمور في عقود عديدة منه .

وصحيح أن التغير التكنولوجي والاجتماعي تتزايد سرعته إلى درجة مقلقة ، ولكن لابد من إدراك أن سرعة التغير في نهاية المطاف مرتبطة بقدرة الإنسان على احتمالها . وهي لا تتجاوز أبداً احتمال الإنسان . فالتغير في نهاية المطاف مفهوم إنساني لا يستقل عن الإنسان ولا يكون إلا منسوباً له . وإذا كان النمو لا نهائياً ، فان سرعة النمو رغم تسارعها المشاهد اليوم ، مسألة أخرى لأنها متزامنة مع تغير الإنسان وقدرته على التعامل مع السرعة في التغير .

٧ - والتعامل مع التغير يحتاج إلى الخيال والطموح والثقة بالنفس وبالآخرين ، فالتغير يفاقم مشاعر القلق والتوتر التي لا يخلو منها الإنسان . وخصوصاً وان التغير المشاهد اليوم يرتبط بالتكنولوجيا والمعلومات والسكان ، وهي عناصر تزيد من سرعته ومن الاحساس بمدى هذه السرعة .

ولقد كان من آثار سرعة التغير على المجتمعات الخليجية العربية المسلمة ، في تعاملها مع نفسها وتعاملها مع المجتمعاتالأخرى ، بروز عناصر الاتفاق والاختلاف في النظرة ، والأطر القيمية ، والتطلعات الحياتية والأهداف ، وتجاوز الأنماط التقليدية مع الأنماط الحديثة وبخاصة الصيغ الغربية ، مما يحتم النظرة المتأملة إلى تقييم العلاقة بين الإسلام والحضارة الغربية والتحديث .

٨ - يتمثل في اسلوب الحياة الغربية في الوقت الحاضر أبرز النماذج للحياة العصرية المتطورة . ولا يعني هذا أن هذه الثقافة لا تتميز فيما بينها باختلافات جوهرية أحياناً ، ولكن المقصود أن الخطوط الرئيسية في كل صورها واحدة ، ويتضمن ذلك الصيغ المشاهدة في أوربا وأمريكا

والاتحاد السوفيتي ، بل واليابان(*) مع بعض التحفظات .

وتكاد صيغ هذا النموذج حيثما حل تشترك في :

(أ) إنتاجية عالية في القطاع الصناعي والزراعي ترتبط باستخدامات تكنولوجية دائمة التطور ليس من حيث استخدام الآلة فحسب ، بل من حيث تواؤم البشر والآلة في مسيرتها الدائبة التطور ، متضمنة بالنسبة للبشر تطورات سريعة في الثقافة ، تتجلى بالنسبة للفرد في التعليم والتدريب والكفاءة في العمل من ناحية ، ومن ناحية أخرى من حيث القيم والاتجاهات والاهتمامات والسلوك ، وبالنسبة للمجتمع في العلاقات والمؤسسات .

(ب) استهلاك عال انتقائي في مجالات الحياة المختلفة ، بدأ بالطعام واللباس والسكن وأوقات الفراغ وازدهار الفنون والآداب والنواحي الجمالية واللبرالية ، والاهتمام الواضح بالأمن والتأمين .

مما تقدم يتضح أن الانتاج الرفيع ومستوى المعيشة العالية وما يرتبط بهما يكادان يتصدران كل ما يهم الإنسان في الثقافة الغربية في حياته على الأرض باعتبارها هي « الحياة » ، وهذا بيت القصيد .

٩ - إن المجتمع الصحي المترابط في حاجة إلى صيغ من مستوى رفيع من التعليم أي إلى مستوى من تعليم جامعي ، في صورة متطلب جامعي عام ، بهدف تأكيد عناصر الثقافة المشتركة في المجتمع وقياداته الفكرية والروحية . وبالنسبة للمجتمع العربي المعاصر بظروفه وتفاعلاته المعروفة ، وفي ظل التوجه الواضح إلى الفردية والعمل على المحاور الذاتية تشتد حاجة المجتمع إلى تدعيم الوعي العام ، والتوجه المجتمعي . إن الحاجة المجتمعية إلى قيمة العطاء عطاء الأفراد ، تكون أعظم الحاحاً عندما يكون التوجه السائد في المجتمع هو « الأخذ » والفردية ، والعمل لصالح الذات وعدم الانشغال الكافي بالصالح العام .

وعندما نعود إلى الحديث عن عناصر الثقافة المشتركة ، نذكر بأن التعليم في البلاد العربية ، في الماضي ، كان يرتكز على العديد من المصادر ، بعضها قراءات مشتركة من

(*) لاحظ دلالة تدريس الموسيقى الكلاسيكية الغربية في التعليم العام في اليابان .

المحيط إلى الخليج . ورغم غيبة التخطيط القومي الثقافي ، ورغم عدم وجود المنظمات الثقافية الاقليمية والقومية ، فأن كبار أبناء الجيل الحالي قد استمعوا إلى بعض الموسيقى الواحدة ، وقرأوا بعض الكتب المشتركة . وأقروا بالقيادة الفكرية والثقافية العامة لعدد من الأعلام لا يختلفون حول قيمهم الثقافية . وكان القرآن الكريم مقرراً عاماً يحفظ الأطفال بعض سوره ويقرأونه جميعاً . وما زال النظام التعليمي في كل مراحله في أشد الحاجة إلى القرآن الكريم : قراءة وحفظاً وفهماً – ليس كواجب إسلامي فحسب – ولكن كرابطة أساسية لثقافة مجتمع عربي يدين بالإسلام ، ويميز هذا الدين هويته وما يترتب على هذه الهوية من منطق وسلوك . وإذا كنا نتحدث عن أهمية التربية الحرة Liberal education ومصادر الثقافة في الغرب في بناء هوية المجتمع الغربي والحضارة الغربية ، فلا محيص من الاشارة إلى أن التوراة والإنجيل وتعاليم الكنيسة وكتابات الاعلام والمفكرين ، على تنوع توجهاتها ، مثل : شكسبير والقديس توما وديكارت وكانت ومنتسكيو وفولتير وشوبنهور وهيجل وجيته وتلستوي وفرويد وداروين وماركس وكينز وشو ورسل وديوي ، وموسيقى : باخ وبتهوفن وتشيكوفسكي ، بل وخشادوريان ، بل ودالي وبيكاسو ، بل والفرق الحديثة بأنغامها الصاخبة ، محل اعجاب الأجيال الحديثة ، كل هذه العناصر التي تنتشر على ساحة الحياة الغربية العريضة ، والتي تتعارض أحياناً ضمن اطار الانتماء المشترك لهذه الساحة الثقافية العريضة ، هي ماتميز الهوية المشتركة للفكر الغربي والحضارة الغربية ، وتجعل لها ضمن اطارها معنى وقيمة يدركها الغربي وتدفعه إلى الائتلاف أو النفور من أنماط الحياة القريبة أو البعيدة عن ثقافته .

ولا يعني هذا الحديث أن عناصر التعليم المشترك ، أو حتى الهوية والثقافة المشتركة ، تصنع من البشر قوالب متكررة أو متشابهة ، فحتى عناصر التعليم المشترك تؤكد أحياناً على حاجة المجتمع إلى أفراد يختلفون لكي يتكاملوا ، وتؤكد على اختلافاتهم حتى يفسح المجال لكل منهم للقيام بدوره في صنع النسيج الموحد من العناصر المختلفة . ولكن العناصر المختلفة إذا تنافرت استحال تكون النسيج الواحد . والمجتمع الذي ينحرف أفراده عن الحد الذي يتحمله المجتمع فإما أن تستوعب طاقته في الصراع والمقاومة الداخلية فلا يبقى منها شئ لعمل ايجابي يجعل لاستمرار بقاء المجتمع وظيفة أو رسالة أو معنى ، وإما أن ينخفض مستوى تفاعله ويصل تفككه به إلى درجة العجز عن أي انجاز حضاري يبرر استمرار وجوده .

وإن نوع التعليم وكمه ليميز بين الانسان والانسان بل يمكنه أن يباعد بينهما إلى غير لقاء أكثر مما تميز الطبيعة بين الانسان والحيوان الأعجم . ومعنى ذلك أنه مع تقدم نوعية التعليم وحملات التعليم العام الشامل الالزامية فانه ما لم ينتبه إلى دور العناصر والقيم المشتركة في التعليم المشترك يصبح هذا التعليم المتطور أدوات للتفريق بين الأفراد والجماعات ، بدلاً من أن يكون أحد عناصر الترابط والاستقرار المجتمعي .

والمجتمع يحتاج إلى المتخصص ، ولكنه يحتاج إلى المتخصص المدرك لدوره الاجتماعي وانتمائه المجتمعي وهويته الذاتية . وانطلاقاً من هذا المفهوم يمكن أن نرى بوضوح معنى تعريض العربي المسلم – أو غير الغربي بعامة – إلى تربية غربية وثقافة غربية . إن الحضارة الغربية والتربية الحرة بالمعنى الغربي – الذي أسلفنا الاشارة اليه – تؤكد هوية الانسان الغربي ولكنها لا تجعل من غير الغربي غربياً أبداً ، الا أنها تستطيع أن تغلف هويته الأصلية بغلاف كثيف من الغموض ، تحجب عن بصيرته الاحساس بالاتجاه وتقعده عن النمو والتطور ، وتفقد حركته وضوح الرؤية والهدف .

ويؤكد الواقع وجهة نظرنا هذه بالنسبة لآثار محاولات تغريب المجتمعات غير الغربية ، ليس من ناحية عدم قدرتها على الالتحاق بمسيرة الحضارة الغربية فحسب ، بل من ناحية القصور في القدرة على النمو والتنمية ، ضمن اطار الثقافة الأصلية التي فقدت من أصالتها حسب درجات اهمال مقوماتها .

١٠ – ومما لاشك فيه أن التقدم والعصرية والتنمية ، والتغريب – بمعنى من المعاني – أحد نماذجها ، ترتبط بالانتاج الرفيع والقدرة عليه من ناحية ، والاستهلاك المؤدي إلى رفع مستوى المعيشة من ناحية أخرى . وعندما يكون الاستهلاك الرفيع المؤدي إلى رفع مستوى المعيشة أثراً للإنتاج الرفيع تكون المعادلة الطبيعية ان هذا المستوى الإنساني الرفيع مؤد هو الآخر لمزيد من القدرة على الانتاج . ومما يلاحظ أن استخدام التكنولوجيا المتقدمة في الدول المتقدمة يؤدي الى زيادة الانتاج بالدرجة الأولى ومزيد من أوقات الفراغ بالدرجة الثانية ، في حين ينظر الى التكنولوجيا المتقدمة في العالم الثالث وكأنها وسيلة للتقليل من جهد الفرد أو المجتمع ، الذي هو محدود أصلاً ، أو لتغطية هذا الجهد المحدود ، بدلاً من الزيادة الكلية في الانتاج لمزيد من التقدم . وعلى ذلك يرتبط التقدم والتنمية بمدى الاستفادة ، والقدرة على الاستفادة ، من أقصى ما يصل إليه الانسان . وهذه الاستفادة تشير

الى الاستهلاك كما تشير الى الاستفادة في عملية الانتاج أيضاً . وهذا هو الشق الاستهلاكي والانتاجي معاً . كذلك يرتبط التقدم والتنمية بتوافر البشر المتطور وتوافر سبل تطوره لدفع طاقات الإنتاج ، بمعناه الشامل ، الى مزيد من التطور الى الأكثر والأفضل ، وإذا كانت التنمية والتقدم مفهوماً انسانياً اجتماعياً فلابد أن ترتبط بانسان قادر ، أو قادر على أن يعد ليتطور وليكون البنية الاجتماعية القادرة على التغير وتحمل تبعاته . ومن الواضح أن التقدم والتنمية ترتبطان بالضرورة بدرجة تماسك المجتمع وصحته وحيويته وأمنه . ومن ثم قدرته على العمل الإيجابي والإنتاج . وواضح أيضاً أن القدرة على العمل الإيجابي مفهوم يتغير بتقدم علم الإنسان ومهارته وتصوراته . وكما ذكرنا ، فالإنتاج المتقدم هو الإنتاج الذي يتم باستخدام أقصى ما وصل اليه عقل الإنسان وعلمه ، من الآلات والوسائل والطرق اللازمة لاستخدام هذه الآلات والوسائل .

فإذا كان عقل الإنسان وخياله ومعامل أبحاثه تخرج لنا كل يوم تحسيناً جديداً لوسائل الإنتاج ، مما يزيد من فعاليتها وكفاءتها ، فمعنى هذا أن التقدم لابد أن يتطور هو أيضاً للاستفادة من هذا الجديد . وهكذا يصبح الإنتاج المتقدم والاستهلاك الرفيع - بنفس القياس - بل والتقدم والتنمية بعامة : عملية واجراء ونتيجة معاً وهما دائما التغير ، والحركة ، والتطور .

١١ - والأمم ، كمجتمعات ، هي تفاعلات بين أفراد . وكلما كان التفاعل سلساً ميسراً ايجابياً صحياً يستند إلى أسس واضحة - معلنة أو غير معلنة - كانت الأمة أقرب إلى الاستقرار والقوة والقدرة على الفعل الإيجابي ، أي رؤية رسالتها والتوجه لأدائها ، أو ما يسمى بالعطاء الحضاري ، وهو المعيار الذي يميز التاريخ به الأمم العظيمة من الأمم العابرة .

إن تركيبة المجتمع ، وعناصره ، ونوعية تفاعله ، تفرز نظمه السائدة في الميادين المختلفة وتؤثر في مستوى كفاءتها . وهذه النظم في الميادين الاقتصادية والاجتماعية ونظم القيادة والحكم ، بدورها تغذي - تعزيزاً أو كبحاً - عناصر القوة والضعف المجتمعي ، خصماً أو اضافة لفائض طاقات المجتمع وقدراته ، ومن ثم قدره .

والمجتمعات التي ينشغل أفرادها بهموم اليوم والساعة ، والقضايا الملحة المتلاحقة ، وما يترتب على ذلك من الاستغراق في قرارات آنية ، سريعة ، اسعافية لا مفر منها ، هذه المجتمعات تتجه لأن تكون هشة ضعيفة غير قادرة على العطاء الحضاري الكافي .

وهذه الظواهر من سمات المجتمعات التي تنوء تحت وطأة فقدان الوجهة وحس الاتجاه الذي يرتبط بالغربة الثقافية الراجعة الى عدم مواءمة الثقافة بما فيها من عدم مواءمة التعليم .

١٢ - إن المظهر السلوكي للأصالة هو العفوية والتلقائية والبديل في حالات التقليد - تغير التربة - هو السلوك الذي يتسم ، بالضرورة ، بالكثير من الحساب والمحاكاة . والجهد المبذول في هذا النمط من الحياة يصل الى الدرجة التي لا يتبقى فيها للأفراد ولا للمجتمع فضل ، أو بقية من طاقة ، يمكن أن توجه لعمل ايجابي أو جهد خلاق .

ومن هذا التعميم يصبح التغريب أو التحديث غير المنبثق عن الجذور والأصالة عبئاً على التنمية ، ونمطاً للتغير يوقف - بالمنطق وبالواقع - حركة التطور الايجابي والنمو السلس .

وإذا كانت البيروقراطية بالمعنى الدارج ، وسوء الإدارة مثلاً ، احدى السمات الشائعة والأمراض المعوقة لحركة دول العالم الثالث في العصر الحديث ، فهذه البيروقراطية ، وهي بالمناسبة ليست احتكاراً للعالم الثالث ، مع تفاوت في المستوى ، نتيجة حتمية لتفاوت مواءمة الثقافة والتعليم ، وتفاوت ترابطهما ونتيجة للاستخفاف بالأصالة وهوانها وحجبها البيروقراطية بالمعنى الدارج وسوء الإدارة مثلاً هي صعوبة اتخاذ القرار ، والتخبط والتناقض في البت ، وعدم الاهتمام بربط القرار بآثاره ، والتأكيد على النظرة الجزئية والمراحل ، وغيبة النظرة الكلية ، والسلبية بالنسبة للعمل والعاملين والمجتمع ، وتأكيد معاني اليأس والقعود والفردية ، والتشرذم .

وكمثل آخر من السمات الشائعة في دول العالم الثالث ، المرتبطة بعدم مواءمة الثقافة والتعليم وعدم ترابطهما ، هو صعوبة القيادة . وفي صياغة أخرى : تناقضات الظروف التي تتم فيها القيادة ، وعدم ترابطها ، وبمنظور آخر : غيبة القيادة القادرة .

وكلما تخلف مجتمع صعبت قيادته ، وان سهل التحكم فيه . والحديث هنا عن قيادة نحو انجازات ايجابية وعطاء حضاري ، وعن تحكم يضعف التلقائية ويعجز عن الفعل .

ذلك أن القيادة الناجحة هي عملية تعليم بالدرجة الأولى . والقائد السياسي المحنك هو أولاً وقبل كل شئ ، معلم موهوب صقل مواهبه وتعلم باتقان مستلزمات التعليم ، وتمكن من شرائط التعلم .

وفي الثقافة المتوائمة لا يحتاج القائد المعلم إلى تركيز القوى أو الصلاحيات بين يديه ، فهو قادر على نقل وجهة نظره ، وهي قابلة للتعديل والتطوير ، وهم قادرون على تقبلها وقبولها أو تعديلها وتبنيها كما هي أو بعد تعديلها باعتبارها وجهتهم جميعاً ، وبذا يتحرك الجميع حركة مطردة متناغمة .

والمجتمعات المتخلفة في العصر الحديث مجتمعات غير متوائمة ثقافياً ، وهي تفرز قيادات محدودة الكفاءة ، بمستوياتها المتفاوتة ، ويسمح لها تفككها بأن تكون في مقدمته . وعندما تعجز القيادة عن التفاهم والاتصال يفقد التقبل من الجماعة ، وعند ذلك اما أن تعرقل المسيرة ويرتفع التوتر ، واما أن تطالب القيادة بمزيد من الصلاحيات واطلاق اليد ، أي اتخاذ قرار لا يشارك فيه الآخرون ولا يهم اعتراضهم عليه . وبذا تزيد الفجوة بين القيادة والجماعة ، وتضطرب أحوال المجتمع وتهن قواه ، ويقل عطاؤه ، وينهمك المجتمع في صراعات داخلية ، وقضايا جانبية ، وتوتر وضياع .

١٣ - بعد كل هذا وفي اطار الحديث عن المواءمة في الثقافة والتعليم والهوية ، لابد من وقفة - ولو قصيرة - عن الإسلام والعروبة . والإسلام بالنسبة لأمة تدين به هو هويتها الثقافية ، ومنطلق عطائها الحضاري الذي يتحدد على أساسه وأساسها مكانتها بين الأمم .

وبدهي أن الإسلام يقبل من أبناء القوميات المختلفة دون فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى . وعندما يدين ويلتزم به أبناء قومية معينة ينفعلون به ، فلا يكون لهم رسالة غيره ، وان اختلفت صيغة العطاء الحضاري بحكم حدود قدراتهم الأصلية أو المكتسبة ومقومات وخلفيات تميز الأقوام بعضهم عن بعض . ومن هذا المنطلق فان القومية لا تتعارض بالضرورة مع الإسلام ، ولا تتنافس معه ، ولا تتقاسم معه ولاء اتباعه ، طالما كان الالتزام الديني والثقافي والسلوكي بالإسلام يمثل توجهاً لا يعترض بل يتضمن ، كواقع وحقيقة ، مشاعر انتماء الأفراد إلى القومية التي ينتمون إليها ، في حدود الاطار الإسلامي .

وطريق الإسلام يتضمن النظرة الدينامية إلى الحياة على أساس :

(أ) الإيمان بالله ، خالقاً واحداً قادراً على كل شئ عادلاً ورحيماً وذا فضل عظيم ، وفعالاً لما يريد ، واليه وحده يرجع الأمر كله ، سبحانه وتعالى .

(ب) ان الدين الإسلامي رغم اتساع مداه ومجالاته لـه ملامحـه المحـددة وقسماتـه الواضحـة كما نزلت في القرآن الكريم وبينتها سنة الرسول ﷺ .

(جـ) ان الحياة لها معنى وغـايـة وهـدف وهي ملـك لله (**ومـا خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**) (سورة الذاريـات : ٥٦) ، والعبـادة هنـا أوسع من الشعـائر ، بل إنهـا تشمل السعي لتحقيق أمر الله عز وجل . وإن المرء يثاب على هذا السعي ، ويتحمل مسئوليتـه في تحـديـد نـوع السعي وكمـه ، وقراءة هـذا الأمر في آيـات القرآن الكريم وأوامر الرسول ﷺ واجتهادات الصحابة والتابعين والعلمـاء ، والجمهرة من العـامـة من المستنيرين الملتزمين .

(د) ان الحيـاة مستمرة بعـد الموت ، وإن السعي في الأرض لتعميرهـا وتطـويرهـا وكشف حجبهـا ، وتحقيق تسخير مواردهـا ، وتـوسيـع آفـاق العلم بعنـاصرهـا ، والتصرف بهـا وفيها ، وتطوير النفس لمزيـد من النمو في تحقيق قـدرات أكبر على ذلـك ، كل ذلـك يرتبط بالعلم بوجود الحياة الآخرة والحساب . (**أيحسب الإنسان أن يترك سدى**) (سورة القيامة : ٣٦) .

وعلى ذلك فواجب المسلم أن يعمل للآخرة وهو يعمل للدنيا ، وأن يعمل للدنيـا وهو يعمل للآخرة . وأن الحياة الموقوتة على الأرض ليست نهاية المطاف .

(هـ) في ضوء ما سبق وفي ضوء أن الإيمان بالله مرتبـط بـالسلوك ، يكون لهـذه المعتقـدات انعكاسات سلوكية في :

١ – علاقة الفرد بالفرد .

٢ – علاقة الفرد بالجماعة .

٣ – علاقة الجماعة بغيرها من الجماعات .

وهذا ما يعنى به التشريع الإسلامي .

(و) ان الإنسان مسئول عن عمله ، ومخير ضمن نطاق ما يستطيع .

(ز) حيـاة الإنسـان وفكره ، رجلاً أو امرأة – عنـدمـا يخطئ وعنـدمـا يصيب – مصونـة وآمنة ، وهو مسئول عنها . كذلك فان ، كرامته والعدل معه واجب وحق . الانسان حر ومسئول .

وإذا كان هذا التصور السهل للإسلام مقبولاً ، فالإسلام :

- يشكل تحدياً لأي فكر ينظر إلى الحياة على الأرض ، باعتبارها الغاية النهائية .
- يشكل تحدياً لأي فكر ينظر إلى الحياة باعتبارها قضية مادية فحسب .
- يشكل تحدياً لأي فكر ينظر إلى الحياة نظرة جزئية .
- يشكل تحدياً لأي فكر ينظر إلى الحياة على أنها عبث لا طائل تحته - وليس بعدها شئ .
- كما يشكل تحدياً لأي فكر ينظر إلى الحياة باعتبارها مجرد إعداد للحياة الآخرة ، وأنه يجوز الاستهانة بها واهمالها ، والقعود عن السعي الطبيعي فيها ، واتقاء التعامل مع عناصرها وناسها . **(يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون)** (سورة الأعراف : ٣١ ، ٣٢) .

(هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) (سورة الملك : ١٥) .

وإذا كان الإسلام يشكل تحدياً لهذه الأفكار فليس بمستغرب أن تمثل هذه الأفكار تحدياً له ، وإذا كان القرن العشرون قرن سيادة الحضارة الغربية ، بالأسس التي تقوم عليها ، والتي أشرنا اليها ، فيكون هذا هو مضمون الحوارات الشهيرة بعنوان « الإسلام وتحديات العصر ، أو تحديات القرن العشرين » .

ومن هنا نجد أن كلمة « تحدي » ليست أفضل التعابير فالتحديات المتبادلة هي صميم الصراع وهي سمة أية حياة طبيعية . دون وجه للاستنكار أو الاستغراب .

والصراع بين ثقافة الإسلام والثقافات الأخرى حدث منذ قام ولم يتوقف ولن يتوقف .

١٤ - والقضية إذن ليست قضية الاشفاق من الصراع الحضاري الحادث ، ولكنها البحث حول مقومات النجاح في هذا الصراع .

وأهمية النجاح في الصراع الحضاري قضية تهم المسلم ، لأنها ترتبط بوجوده ، لأنها ترتبط بهويته .

ومن غير المعقول أن تكون أدوات النجاح في مثل هذا الصراع : الاشفاق ، أو اليأس ، أو الشك البالغ ، أو الاتجاه نحو التحلل من الهوية ، أو الاندفاع نحو الثقافة الأخرى ، غربية كانت أو غير ذلك .

وإذا كان الغزو الثقافي أحد معالم الصراع المعاصر ، فان التعامل معه لا يكون باهماله ، ولا بالاستسلام له ، أو الهلع منه وانكاره ، بل يكون مدخل التعامل مع هذا الموقف هو : الأمل والثقة بالنفس الذي يقوم على أسس موضوعية ، وليس أحاديث الأماني ، وأحلام اليقظة ، وفي السعي لتوثيق الصلة بالله عز وجل ، والسعي لمزيد من التعرف على الإسلام والعلم به ، والتفقه والتفكر فيه ، وتميز الحقائق الإسلامية عن الانطباعات والخرافات ، والنظر المتفرس المقيّم في قضايا الحياة المعاصرة ، وتنقية الساحة من المشكلات المستوردة غير المواءمة والتفرغ للمشكلات الحقيقية .

وفي مجال العلوم والتكنولوجيا مثلاً يمكن تجلية نظرة إنسانية إسلامية بعيدة عن النظرة الغربية التي تأثرت بتاريخ العلاقة بين العقل والعلم والدين ، فمفهوم مثل « علمانية العلم والمعرفة » في الغرب مفهوم دارج ومبرر إلا أنه لا يقوم على أساس ولا ينبغي أن يمثل قضية في مجتمع مسلم . فالإسلام بعقلانيته لم يصطدم بالعلم ولا بتطوره ولا بتقدمه ، بل أمر بالعقل وبالعلم بل وبتطبيقاته .

(وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) (الأنبياء : ٨٠) .

(ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنّا له الحديد . أن أعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحاً إنى بما تعملون بصير) (سبأ : ١٠ ، ١١) .

وعندما كان العلم بتطبيقاته في الصناعة والزراعة والانتاج الاقتصادي والثقافي ، فكراً وفناً ، وفي الحرب والسلام والحل والسفر ، عندما كان العلم السائد في العالم صادراً عن أمة الإسلام ، كانت انطلاقته باسم الإسلام ، ولم تكن على حسابه . بل إن الأرجح أن الحركات

العلمية في أوربا ارتبطت في قيامها وتقدمها ، بانفعالها بالفكر الإسلامي ومنطقه ، وليس بمجرد ممارساته . وكان مفهوم التجريب ، واحكام العقل ، وتنظيم الأحكام والتوجه نحو العمران والتحسين ، والتحكم في موارد الطبيعة ، والاستفادة من خيراتها ، والاستمتاع بطيبات الحياة ، في غير خيلاء ولا اسراف ، لرفع مستوى المعيشة ، على أساس من زيادة الانتاج لتوفير الخير واستهلاكه على نطاقات أوسع ، كل هذه المعاني والحقائق كانت معروفة عند بناة النهضة الأوربية الذين تعلموا في الجامعات الإسلامية ، وعرفوا العربية ودرسوا الإسلام بما يتضمنه من هذه الأفكار والمبادئ . وإن الأرجح أن علمانية العلم وحيادية التكنولوجية إذا كان لها وجود بيننا ، فهو وجود مستورد لم يمحص ولم يقيم ولم ينقد .

بل الأرجح أن التبعية العلمية القائمة ، والتخلف التكنولوجي الحادث ، إن هي إلا أثر من آثار هذا الفكر الطارئ على ثقافتنا دون جذور أو روافد .

إن مفهوم التنمية بالنسبة لنا لا يمكن أن يكون مجرد الزيادة في الانتاج أو الدخل بل يجب أن يكون متوائماً مع احتياجات مجتمعنا وتطلعاته من ناحية وامكاناته ومقوماته من ناحية أخرى . ومسئولية الجامعة واضحة في تحديد ثقافة المجتمع وتطلعاته في ضوء هويته ، ثم محاولة استشراف خطى المستقبل .

وعلى هذا الأساس فان قضية التنمية المتوائمة ليست قضية بسيطة ولا ثابتة ، لأنها لا تمثل طريقاً مطروقاً ، بل نهجاً مستحدثا مليئاً بالكثير من الغموض في الرؤية .

ومفاهيم التنمية ونماذجها تتغير بتغير أهدافها وصيغها . ومهمة الجامعة في هذا المجال تتضمن تحقيق عناصر المواءمة بين المجتمع والتنمية ، وتحديد مساره لتحقيق الالتحاق بالعصر والسير المطرد قدماً الى الأمام ، مع الحفاظ على هوية المجتمع ، حيث أن أية حركة تفقد معناها إذا تنازلت عن الحفاظ عن هويتها .

١٥ – إن الهوية التي نتحدث عنها مثل المواءمة مفاهيم دينامية بالضرورة . فالهوية ليست تشبثاً بالماضي ، وليست عداء لصيغ معاصرة يمكن أن نتفاعل معها كما يمكن أن نؤثر فيها .

فالعالم اليوم يتجه إلى التميز والتقارب ، بالمعنى الحضاري ، في نفس الوقت ، مما يكسب الصراع الحضاري المعاصر أبعاداً جديدة عندما نصر على هويتنا الإسلامية العربية الدينامية المتميزة في الوقت الذي نحيا فيه على مائدة تكنولوجيا الغرب . والواقع أن أية حضارة تستمد

قيمتها من قدرتها على العطاء الحضاري فاذا كان العطاء الحضاري للثقافة الغربية ملموساً ولايمكن ولا يصح إنكاره ، فان قدرتنا على العطاء الحضاري في مثل هذا الواقع قابلة للتطوير والبروز ، ليس بما يبرر استمرار وجودنا فحسب ، بل بما يدعونا الى أن يكون لنا دور اثرائي في حركة الحياة الغربية التي تقف عاجزة أمام كثير من تساؤلات الفكر الجاد .

وبهذا المعنى يكون للتنوع الحضاري القائم والمحتمل معنى بالغ القيمة والأهمية .

وإذا كانت جامعاتنا العربية المعاصرة نتاجاً غربياً أكثر منها نتاجاً لتطور حضاري أصيل ، فان النظرة المستقبلية لجامعة الخليج يجب أن تتفادى آثار سلبيات هذا الاتجاه ، مع وضوح في اتجاهها نحو تكوين جامعة عصرية وأصيلة في نفس الوقت ، وإذا كانت الحضارة التقدمية الجديدة - العربية الإسلامية - الموازية والمتميزة والمتعاملة في نفس الوقت مع الحضارة الغربية ، تستمد أهميتها مما تستطيع أن تقدمه ، فان طبيعة الصراع الحضاري يمكن أن تكون صراعاً غير عدواني ، بمعنى ألا يقصد الى انتصار يؤدي الى القضاء على الطرف الآخر . أو أن يقصد الى حسمه بمعنى بقاء حضارة وحيدة ، بل توازن يقود الى صيغة جديدة من صيغ السلام المتجدد الحي القادر على الاعتراف بالعطاء الحضاري للحضارة الغربية دون الاستسلام والانصهار فيها .

ودور الجامعة هنا أن تبلور ، من منطلق أصالتها وثقتها في هذه الأصالة ، ملامح تطبيقات متطورة للثقافة العربية الإسلامية الدينامية المعاصرة . وإذا استطاعت جامعة الخليج أن تفعل ذلك فقد أثبتت وجودها بحسم نادر . ويكون عطاؤها حينئذ في تقديم ثقافة بديلة تكون عنصر اثراء للجميع بمجرد صياغتها ، وذلك بالتعبير عن وجودها الذي يتجه الى ازدهارها وازدهار الانسان .

وتكون الجامعة قد تجاوزت الأحاديث الطويلة في نقد الحضارة الغربية مع استمرار الدوران في أفلاكها . وإذا كانت الحكمة تؤكد على أن تقود الإرادة القدرة فعلى الإرادة ، وهي تفعل ذلك ، أن تكون ضمن نطاق هذه القدرة .

إن حقيقة الجامعة تستمد من ضروريتها ، وضروريتها معناها قدرتها على تقديم شئ لا تقدمه المؤسسات الأخرى ، أو لا تقدمه بنفس الكفاءة . وإذا كنا نتحدث عن جامعة الخليج كجامعة لا تكرر ولا تنافس ، بل كعنصر إثراء للجامعات القائمة في المنطقة ، بل مجال

العطاء العربي الإسلامي للمجتمع الجامعي الدولي الكبير ، فالمطلوب من هذه الجامعة العصرية الإسلامية الهوية ، العربية الجنسية ، أن ينعكس في برامجها ومناخها وتوجهها ، هذه العناصر كما تؤكد بالضرورة على بعدها العالمي .

والواقع أن العالم المعاصر قد تبين بجلاء أن الجامعة التي لا تحافظ على بعدها العالمي المتوائم بالضرورة مع وضوح هويتها وقسماتها ، هذه الجامعة لا تسقط إلى مستوى المحلية والإقليمية فحسب ، بل تتردى خطوة خطوة في برامجها التعليمية والبحثية ، مهما حسنت النيات المعلنة .

إن الجامعة الحقيقية - تميزاً عن الجامعة الشكل - جامعة حية لها مضمون وقدرة وهي لا تطيق عزلة العلم ولا التعليم ويصدق ذلك بالنسبة لجامعة الخليج كما يصدق على جامعات الشرق والغرب جميعاً .

وكما قد يعني ذلك تبعية الأضعف ثقافياً للأقوى ، فان الحالة التي نحن بصددها ليست كذلك ، إلا أنها تحتاج إلى تجلية ثقافتها المتميزة وايجاد الصيغ التطبيقية والسلوكية لها . وهي عندئذ مصدر للعطاء والاثراء ، وصيغة للاحتكاك الحميد ، والتحول العاقل ، بدلاً من الصراع المدمر لقوى تكون رغبتها في الفوز الضيق الأفق أكبر من الرغبة في التقدم نحو الأفضل .

١٦ - والجامعة قد تكون مؤسسة للماضي كما يمكن أن تكون مؤسسة الحاضر أو المستقبل ويتوقف ذلك على حقيقة دورها . وإذا أرادت جامعة الخليج أن تكون جامعة المستقبل فعليها من منطلق جذورها الضاربة في أعماق تاريخ الحضارة أن تنظر إلى المستقبل لتكون أحد عناصر تشكيله والإعداد للتعامل معه . وأن تعلم أن الجامعة لا تستطيع وليس من مهمتها أن تجهز الخريج لعمل معين ، وإلا أصبح على التعليم الجامعي أن يعد برامج شخصية وجامدة لكل طالب وهذا أقرب إلى مهمة مركز تدريب منه للجامعة . ولكن على الجامعة - كمجتمع - أن تعد برامجها ومناخها لتتاح للخريج أفضل الفرص ليكون قادراً على سرعة اتقان مهام عمل محدد ، بالإضافة إلى القدرة على سرعة تطوير نفسه لعمل آخر ، عندما يستدعى الأمر ذلك ، أو عندما تتطور ظروف العمل وامكاناته .

على أن من مهام الجامعة المتطورة أن تدخل في برامجها البرامج التدريبية والتجديدية

وبرامج الخدمة العامة لمساعدة الخريج على التطور بنفسه وتجديد امكاناته . ولقد كانت هذه المهمة مسئولية الخريج وحده حتى الماضي القريب . ولكن تحقيقها اليوم يزداد صعوبة بدون هذه البرامج . وليس الحديث هنا مقصوراً على برامج مهنية تخصصية فحسب فان التطورات السريعة حتى في حقول أساليب البحث وتصمياته والأجهزة بل وطرائق التدريس والاتصال ، تجعل الساحة التي نتحدث عنها تتسع لتشمل حتى عمل استاذ الجامعة ومهامه .

وهكذا يتبين كل يوم أن المعرفة التخصصية يحتاج نموها وتطورها إلى خلفية بشرية عريضة يدخل فيها المعلومات والمعارف والاتجاهات والقيم والمهارات والسلوكيات ، وهذا يقود إلى تأكيد ما سبق ذكره من أهمية التربية الحرة المنبثقة عن الثقافة الإسلامية العربية ، والتي تنفتح ، انتقائياً ، على التربية الحرة بالمعنى الغربي أيضاً ، طالما بقيت الملامح الحالية للحياة العصرية السائدة اليوم ، والثقافة المتنوعة والاهتمام والفضول وحب الاستطلاع في المجالات المتعددة .

إن جامعة الخليج التي تستمد حقيقيتها من ضروريتها جامعة تحتاج إلى أن تتوجه إلى المستقبل وهي تعرف دورها في الصراع الحضاري ، ومن هذا الدور تحدد دينامياً - برامجها لخدمة المجتمع العربي والخليجي والمساهمة في تأكيد هويته وهي تجهز طلابها وأساتذتها لمسئولياتهم التي يتصدون لحملها ، وهي مسئوليات يمليها طموح عال وآمال عراض . أما إعدادها لطلابها فهو إعداد لقادة قادرين ، مع العناية بالموهوبين منهم خاصة ، على تولي مسئوليات متخصصة ومتطورة في نفس الوقت على أساس تركيز الجامعة على مساعدة طالب العلم على التعلم والنمو أكثر من التعليم ، كما تضفي على قيادتهم شعوراً أصيلاً بالانتماء العربي والالتزام الإسلامي . ومعيارها في جودة أساليب الإعداد فيها هو مدى تمكنها من تحقيق أهدافها ، ومدى تقبلها لتعديل مساراتها نحو أهدافها .

كما أن مسئولياتها تتضمن أيضاً اقامة مجمع من العلماء والباحثين يستطيع أن يستشعر الخبرات التي يتطلبها المجتمع ويرتب للحصول عليها والتطور بها .

وهي قبل ذلك وبعد ذلك مجتمع تتسم تفاعلات أفراده بالإيمان ، والتقوى ، والتجرد ، والثقة ، والقدرة على العطاء الحضاري المتواصل .

١٧ - ان مرحلة قيام الجامعة مرحلة حاسمة باقية الأثر . وان الأعمال العظيمة لا تبدأ كاملة ولكنها تبدأ تامة ، والعمل العظيم لا يبدأ كبيراً ولكن يبدأ جيداً .